العنوان الأصلي للمسرحية :

Jean Anouille
Cécile
ou
L'Ecole des Pères

جان أنُوْيْ

المسرحية الخامسة

سيسيل أو مدرسة الآباء

مسرحية ذات فصل واحد

إذا عالجتَ موضوعاً وأنتَ تتلاعبُ به، فإنّك تبدعُ عالماً من التقاليد والرُّقيّات، وتنسجِ من حوله إكليلاً من مفاتن الحريّة والإبداع. أما العمل المسرحي الحافل بالتلاعب فيشبه حركة مقطوعة موسيقيّة.

جان أنُوْيْ

شخصيات المسرحية:

السيد أورلا

سيسيل، ابنته

أرامَنْت، قيّمة على شؤون سيسيل

الفارس

السيد داميان، والد أرامنت

خَدَم، سيّافة

عُرضت مسرحية «سيسيل أو مدرسة الآباء» لأول مرة في ٢٩ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٥٤ على مسرح «كوميدي الشانزيليزيه» (باريس) من إخراج رولان بيتيري. وقد أعدّ الديكور والملابس ج. د. مالكيس. أدّى هنري غيزول دور (السيد أورلا)، وكاترين لوكوي دور (أرامنت) وكليمان تييري (الفارس) وكاترين أنوي دور (سيسيل) وموريس ميريك دور (السيد داميان) وروجيه لوران وغي ديكو (سيّافة).

حديقة من أحواض شجر البرتقال. المنزل قائم ناحية اليسار، ويقوم ناحية اليمين جناح صيني صغير.

يظهر السيد أورلا على خشبة المسرح، جالساً في الجناح، وأرامَنْت واقفة بالقرب منه. الملابس من زيّ بور جوازية لويس الخامس عشر أو لويس السادس عشر، وطرازها مغلوط قدر الإمكان.

السيد أورلا: أنا قلق جداً، يا أرامنت. لأنني أعتقد جازماً، أنّك أكثر فتوّة وأشدّ فتنة من أن تقدري على الاهتمام بابنتي.

أرامنت: كنّا أربع مرشحّات لمنصب القيّمة هذا. وكانت الثلاث الأخريات مسنّات أو غاية في الدمامة. فلمَ وقع اختيارك عليّ، يا سيدي؟

السيد أورلا: لأنك فتيّة وجميلة حصراً. لكنّني أخاف أحياناً أن أكون قد اخترتكِ لنفسي. لقد بدا لي أنّ وجود امرأة شديدة البشاعة على مائدتي كل يوم، شيء يفوق طاقتي. إلا أنّي أخشى أن أكون أباً طالحاً. كان عليّ أن أوكل أمر سيسيل إلى غول عجوز، وأن أحتملها أنا

نفسي بكل رباطة جأش. كما كان بوسعي أن أتناول وجباتي على حدة أو أقرأ بعض الدوريّات على المائدة.

أرامنت: لكنّك طلبت إليّ، في جملة ما طلبت، أن أعلّم الآنسة سيسيل أنّ القراءة أثناء الطعام أمر غير لائق على الإطلاق.

السيد أورلا: لقد ارتكبتُ حماقة! فأنتِ وهي، أولاً، من سنٍّ واحدة.

أرامنت: الآنسة سيسيل في السابعة عشرة أما أنا، فعمّا قريب أبلغ الثالثة والعشرين.

السيد أورلا: ذلك سيّان.

أرامنت: إسمح لي بأن أعارضك، يا سيدي. فلديّ الإحساس بأنّي تعلّمت أشياء كثيرة في خمسة أعوام. وعلى رأسها الحذَر من الرجال.

السيد أورلا (بغتة): لماذا تقولين ذلك لي؟

أرامنت: من أجل أن أجيب على ما يثير فيك القلق. فأنا قادرة حقاً علي حماية الآنسة سيسيل، التي يمكن لشبابها ونقص الخبرة لديها الإنسياق بها نحو الوقوع في غواية الكلام المعسول. فعليك أن تعترف يا سيدي بأنّي لا أنساق للحكايا.

السيد أورلا: إنّي لأتساءل: لمَ تتفنّنين في إزعاجي، يا أرامنت؟

أرامنت: وهل تفوّهتُ بكلام مزعج؟

السيد أورلا: «إنّي لا أنساق للحكايا» ما معنى ذلك؟ هل يعني أنّي أحاول خداعك؟ هذه الصورة البيانية التي تقولها المراهقات الصغيرات كانت على الدوام كلاماً غير مفهوم بالنسبة لي. هل أسمعتك شيئاً من معسول الكلام؟ يا للمعضلة الصعبة! أنتِ لم تعودي صغيرة. فعمرك ثلاثة وعشرون عاماً. وأنا رجل كان الحبّ شغلي الشاغل على الدوام. ورغم أني والد سيسيل، فأنا لم أتخطّ مرحلة العشق ولله الحمد! فهل تحسبين العيش على صلة وثيقة مع فتاة رائعة، بالأمر الهيّن؟ أنت تجلسين كل يوم في مواجهتي على المائدة، وتبتسمين لي بينما تكون سيسيل شاردة الذهن في مكان ما.... وفي المساء نصعد نحن الثلاثة إلى الطابق العلوي حيث تقع حجرة نومك على خطوتين من حجرتي. أنا أحمق. كان ينبغي أن أختار غولاً.

أرامنت: ما زال أمامكَ متّسع من الوقت.

السيد أورلا: المتّسع متوفّر على الدوام لنكون تعساء بلا قيمة.

ولا أقصد ما ستعانيه سيسيل من أسىً، لا سيّما أنها أضحت شديدة التعلّق بك. لكنّ حياتي الخاصّة ستغدو كئيبةً تماماً. سوف أعجّل في تناول وجباتي لكي أُقصّر العذاب، وسوف تنتابني آلام المعدة مما يؤدي دوماً إلى حدّة في المزاج. ولن أقوى من ناحية أخرى على تحمّل فكرة وجودك في منزل آخر، حيث ستكونين فريسة يطمع فيها الرجال. فأنت ما زلت طفلة. لا تنسي أن عمرك ثلاثة وعشرون عاماً! ماذا تعرفين عن الحياة، يا عزيزتي؟ أنت لقيت هنا رجلاً حسن التهذيب، يكنُّ لك احتراماً. لكن اقصدي البارون واعملي عنده موجّهة لابنته على نحو ما عُرض عليك مؤخراً، كما علمت، وأراهن على أنه لن ينتظر يومين حتى يأتي ليطرق باب حجرتك.

أرامنت: لا بدّ لي من الاعتراف بفضلك، يا سيدي، فقد انتظرت أنتَ أسبوعاً بحاله قبل أن تفعل ذلك.

السيد أورلا: أنا رجل حسن التهذيب. وأنتِ على كلّ حال لم تفتحي لي.

أرامنت: كذلك لن أفتح للبارون إذا ما شاء سوء طالعي أن أفقد ثقتك وأتوجّه للعمل عنده.

السيد أورلا: لا أحسبك تعقدين مقارنة بيني وبين ذلك البارون؟

أرامنت : أعتقد أني سمعت أنكما كنتما معاً من تلامذة الآباء وأنكما تِربْان بفارق عامٍ ليس إلاّ .

السيد أورلا : إجل ، إلاّ أنّ عبء السنين ظاهر عليه هو . لكن ، لندع هذه المسألة جانباً . لو أنّي لم أبْدِ اهتماماً بك على هذا النحو أو ذاك - وأقول هذا عن خبرة بالتناقضات النسائيّة - لانتابك الغيظ من أوّل وهلة .

(يقف وقد بدا منشغل البال)

إنّي قلق جداً ، يا أرامنت ، فهذا الفارس الشاب يتردّد على منزلنا كثيراً .

أرامنت : إنه يهوى الآنسة سيسيل . والآنسة سيسيل تهواه .

السيد أورلا : أيّة خبرة يملكون وهم في هذه السن؟ فهذا الشاب ، أولاً ، ليس ذا مكانة . فوالده في شيء من العسر وهو لا يزال ينوء تحت عبء الولدين الأكبرين . ولن يقدر أن يؤمّن له مكانة لائقة ، حتى لو جعل من بناته الثلاث راهبات . قد يتوصّل إلى أن يجعل منه أحد فرسان مالطة ، إذا ما توفي عمّه الأكبر في الوقت المناسب . هذا كل ما يستطيع أن يأمله . يتبيّن إذاً أنّ زواجه ليس مطروحاً على بساط البحث في كافة الأحوال . وينبغي أن تنتهي علاقتهما الوديّة !

أرامنت: سوف يتقابلان خفية.

السيد أورلا: اللعنة على إبليس. أيصحُّ هذا الكلام لي، يا آنسة؟ سوف تكونين هناك لتحولي دون ذلك.

أرامنت: يظلّ الأمر فوق طاقتي، حتى لو أدرت ذلك فغرامهما سيقهر كل العوائق. ولن أقبل بذلك، يا سيدي. فأنا لا أحتمل رؤية أحد يعاني من الهوى.

السيد أورلا: آه، حقاً؟ إذا ما منعتُ هذا الغرّ من رؤية سيسيل فلن تقوي على احتمال عذابه، أمّا صنوف العذاب التي أعاني منها منذ ستة أشهر، والتي أضنتني وأنا مسمّر عند بابك، فأنت تحتملينها على خير ما يرام؟

أرامنت: هل تحسب يا سيدي، أنّي، لو فتحت لك، أظلّ جديرة بنيل ثقتك حيال الآنسة سيسيل؟

السيد أورلا: لا تشوّشي السؤال. فأنا أطلب إليك، بكلّ تأكيد، أن تكوني حازمة تجاه سيسيل التي لا تزال طفلة، لكن...

أرامنت: نحن من نفس السنّ.

السيد أورلا: اللعنة على إبليس! أنت في الثالثة والعشرين! أما هي ففي السابعة عشرة. وفي خمسة أعوام يتوفّر للفتاة الوقت الكافي لتتعلّم معرفة العالم، والحكم على صفة

رجل ما وصدق إحساس ما . أنا لا أفهمك، يا أرامنت . ولكن لا يسعك أن لا تري أنّي عاشق موّله بحبك .

أرامنت : لا أعتقد، في واقع الأمر، أنّ بوسع المرء أن لا يرى ذلك يا سيدي . فأنت تتحاشى كلّ تحفّظ ممكن . وعليّ أن أظهر مهارة فائقة كي لا تلحظ الآنسة سيسيل ذلك . وإذا لم تكفّ عن محاولاتك لمسَ ركبتي من تحت المائدة، فإنت ستلمس ذات يوم ركبتها هي .

السيد أورلا : لا يمكن لملاطفة وديّة من والدها أن تثير دهشة هذه الطفلة . فأنا أُقبِّلُها مئة مرة في اليوم .

أرامنت : أما إذا خامرها الشك في أن تلك الملاطفة الوديّة موجّهة نحو ركبة أخرى، فإنّي أخشى أن يؤدي ذلك إلى جرح مشاعرها . وعلى نحو أكثر خطورة من نظرتك إلى الأمور باستخفاف، يا سيدي .

السيد أورلا (يغمغم حالاً بعض الشيء) : نظرتي باستخفاف . . . نظرتي . . . (ثم يسأل بغتة بنبرة مغايرة) .

أنا، في نظرك إذاً، أب طالح، يا أرامنت؟ إنّ هذا ليحزّ في نفسي . . .

أرامنت: أنت ترغب في أن تكون خير أب في الدنيا، يا سيدي. لكني أظنّ أنّ من واجبي العمل على الأقل لتحقيق هذه الرغبة من بين رغباتك. لذا تراني أبتعد بركبتيّ إلى تحت مقعدي في جلسة غير مريحة على الإطلاق؛ أؤكّد لك ذلك. كما إني أصمّ أذنيّ فلا أسمعك البتة وأنت تخدّش في الليل بابي.

السيد أورلا (يقترب قائلاً بشيء من الخسّة): وماذا لو وضعت سيسيل في الدير (في دير كثير المباهج، كأنّها تمضي إجازتها الصيفيّة إلى حدّ ما) أو ماذا لو أرسلتها لتمضي بعض الوقت عند عمّتها الراهبة؟ ستجد هناك عدداً من أبناء عمومتها لتسليتها . . .

أرامنت: لن تقسو عليها بتحميلها عذاب فراق فارسها الصغير؟ ومن جهة أخرى، فإنّه لا يبقى لي من مكان في هذا البيت، في حال غياب الآنسة سيسيل. فأنا أتولّى حمايتها، يا سيدي، لكنّها هي أيضاً تقوم بحمايتي. ولا يسعنا أن نفترق إحدانا عن الأخرى وسط المخاطر التي تتهدّدنا.

السيد أورلا (يتأوّه): الحياة هوّة من التناقضات، يا أرامنت! أنا ذاهب إلى مكتبي للتفكّر في ذلك كلّه. إذ لا يسعني

الاعتقاد بأن ليس من حلّ للتوفيق ما بين الواجب والسعادة .

أرامنت : أعتقد أنّ هذا هو الشاغل الأكبر للناس مذ أن خرجوا من مغاورهم ليحاولوا العيش في مجتمع . ولم يبتكروا غير الزواج ، كمحاولة توفيق مؤقّتة ، بين هذين المفهومين .

السيد أورلا : مؤقّتة جداً ، يا أرامنت . وعليك أن تصدّقي رجلاً حاول المغامرة . أما النتيجة من بعد ، فتشبه حال تلك التجارب الكيميائية التي يستمتع بها جارنا فولتير . فالخليط يغلي في البداية . ثم ما تلبث السعادة الخفيفة أن تتبخّر ولا يبقى في الحوجلة إلاّ حصى الواجب والرواسب الغليظة الرمادية .

(ثم يسأل باهتمام)

هل سيأتي الفارس اليوم أيضاً؟

أرامنت : على نحو ما هي الحال بعد ظهر كل يوم .

السيد أورلا : لا تدعيهما وحدهما دقيقة واحدة! فما أن تديري ظهرك حتى يباشر أمثال هؤلاء الأطفال المداعبة والعناق .

أرامنت : هذا أمر طبيعي في سنّهم .

السيد أورلا (بشيء من الجفاء): وهذا من طبيعة سنّي أيضاً. إلا أنّي أستغني عنه.

(يهمّ بالخروج ثم يغيّر رأيه فيتوجّه نحوها)

المسألة، يا أرامنت في غاية القسوة. دعيني أحتويك بين ذراعيّ مرة واحدة؟

أرامنت (وهي تصدّه بحزم وتقول مبتسمة): كلاّ، يا سيدي. ولا مرّة أبداً.

السيد أورلا (خارجاً ساخطاً): كوني عديمة الرحمة حيالهما. حتى كرسيّاهما لا ينبغي أن يتلامسا! وحتى لو تناولا طعاماً خفيفاً، عليك مراقبة الغطاء. فمن السهولة بمكان مدّ الساق من تحت المائدة. هاك! علّمي ابنتي كيف ينبغي الجلوس على الكرسي بشكل لا يتيح لركبة أحد أن تطالها!

أرامنت (تبتسم): أخشى ألا يكون هذا التمرين الرياضي أقلّ ضرورة بالنسبة لها من ضرورته لي أنا.

السيد أورلا (يخرج متأوّهاً): أنا رجل تعيس جداً، يا أرامنت.

(يدخل الفارس)

الفارس: يا أرامنت!

أرامنت: سيدي؟

الفارس : هل تعتقدين أنّي وصلت مبكّراً جداً؟

أرامنت : أنت دائماً تصل مبكراً جداً، يا سيدي الفارس. فنحن خارجون لتوّنا من على المائدة.

الفارس : ومع ذلك فقد انتظرت ساعة بطولها في الشارع قبل أن أُعْلِمَ بوصولي. يا له من وقت ضائع، يا أرامنت! من الواضح أنّك لم تقعي في الهوى قط. إيه، يا أرامنت، يوم تصيرين في مثل سنّي . . .

أرامنت : أخشى ألا يقع لي ذلك أبداً من بعد، يا سيدي.

الفارس (متعجّباً) **:** أن تقعي في الهوى أو أن يقع أحد في هواك، وأنت على ما أنت عليه من جمال؟

(يمسك بيديها ويقبّلهما)

أرامنت (تسحب يديها وتقول ضاحكة) **:** كلا، يا سيدي، بل أن أصير في مثل سنّك. فتلك مغامرة قد عرفتها قبل ثلاثة أعوام. ويقولون إنّها لا تتجدّد أبداً.

الفارس : إنّه لشيء رهيب أن يبلغ المرء العشرين من عمره. ومنذ ثلاثة أيام، يا أرامنت.

أرامنت : سوف ترى أنّنا نألف ذلك. لكن لا يكاد المرء يألفه حتى يرى نفسه وقد تجاوزه.

الفارس: سأغدو مسناً، عمّا قريب، يا أرامنت، وأنا لم أعش حياتي بعد. قلت إنّك بلغت سنّك هذا من غير أن تحبّي. ألا يَعْتَصِرُ قلبكِ أن تتبدّدَ حياتك سدى؟

أرامنت: إن شئت الحقيقة، يا سيدي الفارس، فإنّ الأمل ما يزال يراودني.

الفارس: الحقّ معك. لأنّ ما أنت عليه من جمال يجعل المجال فسيحاً أمامك. أتعلمين أني لو لم أكن أهوى سيسيل لقتلني الشوق إلى تقبيل يديك. هل أجرح شعورك وأنا أخاطبك دونما كلفة؟ أنت شقيقتي.

أرامنت: خاطبني دونما كلفة إن كان ذلك يروق لك، لكن أرجوك ألا ترفع الكلفة بينك وبين يديّ.

الفارس (على نحو مباغت)**:** أتعرفين أنّي على حافة اليأس، يا أرامنت؟

أرامنت: هذه قصّة جديدة! أَمِثْلُكَ يوم أمس؟

الفارس: لا بل أكثر بكثير. فصباح اليوم دخلت في جدال عاصف مع والدي. وقد حرّم عليّ رؤية سيسيل. وانتزع منّي قسماً على أن أطأ عتبة هذه الدار لآخر مرة.

أرامنت: وأنت، هل أقسمت؟

الفارس: تعرّضت لكافة أشكال الضغط الفكريّة حتى أُرْغِمْتُ على ذلك في النهاية.

أرامنت : إنّه لإنسان عديم الفؤاد!
الفارس : أعتقد اعتقاداً جازماً أنّه يفتقر للمال . وثروة سيسيل ضئيلة . (إني لا أعرف من مخلوقات خارقة تشبه الآباء يا أرامنت . فبينما لم أنل أنا قبلة واحدة من سيسيل ، إذ تمكن هو من الحصول على المعلومات الأكثر دقّة حول ثروتها ، وذلك عن طريق الكاتب بالعدل الذي يتعامل معه السيد أورلا) . وهو يقول إنّه لا يريد إلا إسعادي ، وأنا أصدّقه ، لكن عليه أولاً أو يزوّج أخويّ : لن أحصل أنا على شيء . ولديّ الخيارُ بينَ أحد أمرين . إمّا أن أنتظر موت عمي لأصير من رتبة فرسان مالطة ، وفي ذلك استبعاد لسيسيل لأنّ الرتبة تتطلّب العزوبة – وإمّا أن أتزوّج جراباً من الريالات[1] ، وفي ذلك أيضاً استبعاد لسيسيل .
أرامنت : وهل عثر عليه؟
الفارس : على من؟
أرامنت : على جراب الريالات؟
الفارس : أجل . إنّه ضخم . أما هي فهزيلة ، ودميمة إلى حدّ يثير الفزع . وفوق كل ذلك مسنّة . إنّها فتاة تناهز الخامسة والعشرين .

(١) كناية عن وريثة غنيّة . (م)

أرامنت : بعد عامين أغدو إذن مسنّة! لستَ مستلطفاً على الإطلاق، يا سيّدي الفارس . . .

الفارس (يقبل يديها) **:** أنتِ لم تفهميني. فلو تعلّق الأمر بك، يا أرامنت، لما كان للسنّ من قيمة تذكر.

(يتوقّف)

كلا، انظري، حتى لو تعلّق الأمر بك، فأنا أحب سيسيل . . . إلا أنّي أحب تقبيل يديك. لكن قولي، وأنت قد خبرت الحياة، هل تعتقدين أنّ كلّ شيء يبقى على الدوام مشوّشاً هكذا داخل القلب؟

أرامنت : دائماً.

الفارس : إلا أنّك لن تفارقينا، إذا ما تزوجتُ سيسيل! فأنت، إجمالاً، شقيقة لها، وأريد أن أتزوّجك أيضاً - كشقيقة.

أرامنت (ضاحكة) **:** تريد يدسيسيل ويديّ أنا من حين لآخر، أليس كذلك؟ أرى ياسيدي الفارس، أنّك تصرّف أمورك الصغيرة على خير ما يرام، مع أنك لم تبلغ العشرين إلا منذ ثلاثة أيام. إلاّ أنّي أتوقّع رحيلك من غير هاتين اليدين ولا تلك. فكيف تريد أن تتزوج سيسيل إذا كان ما لديها ضئيل وأنتَ لا تملك شيئاً على الإطلاق؟

الفارس: آه؟ أنا لم أقل لك بعد. لقد عزمت على أمر.

أرامنت: هات ما عندك.

الفارس: سوف أختطفها في هذا المساء. وأنا مرغم على ذلك من أجل أن أظل أراها، لا سيّما أنّي أقسمت على عدم الرجوع إلى هنا. سوف أختطفها وإيّاك بكل تأكيد.

أرامنت: ما كان عليّ أن أبوح لك بهذا: إني أعتقد أن سيسيل حمقاء إذ قبلت بأن تتبعك. لكنّي مستعدة لمنعها من ذلك.

الفارس: وهل يطاوعك قلبك على أن تمنعينا من تبادل الحب؟

أرامنت: أجل، يطاوعني على منعك من ارتكاب حماقة. هل فكرت فقط في تبعات ما عقدت العزم عليه؟

الفارس: التبعات أمرها هيّن جداً. فطراز الآباء الشائع منذ أيام روسّو، هو والحمد لله، طراز المتسامحين. فينبغي بعد أن نتزوج، يا أرامنت، أن نتقدّم لمراضاتهم مراعاة للأصول، ولا يبقى عليهم بعدئذ إلاّ أن يمنحونا بركتهم.

أرامنت: قد يوافقون على منحكم البركة، فذلك لن يكلّفهم شيئاً. أما أن يمنحوكم المال فأمر مستعبد لا محالة.

الفارس: ألا تعتقدين أنّ بوسع أبي أن يمدّ لي يد المعونة، إذا ما جعل شقيقاتي الثلاث راهبات؟

أرامنت : لا أعرف شيئاً عن أحوال أبيك المالية، لكنّي ألاحظ أنّك تقرّر من غير مشقّة مصير شقيقاتك!

الفارس : أف، يا أرامنت، إنّهن دميمات. ولن يجدن أزواجاً أكثر تساهلاً من يسوع المسيح أبداً. ناهيك بأن حياتهن ستكون مضمونة إلى الأبد. فالحياة هناك على الأرض تجري بسرعة خاطفة! وها أنت تقرّين بنفسك. فقبل ثلاثة أعوام فقط كنت في العشرين، وقد غدوت الآن زاهدة. وإذا ما نذرناهنّ للسماء فإنّا نجعلهنّ يتفادين الكثير من الحوادث المريرة ومن إغراءات الوقوع في الخطيئة. ناهيك بأني أحبّ سيسيل حباً جمّاً!

أرامنت (تضع إصبعها على صدره)**:** يبدو لي أنّ هذا القلب الصغير الجميل بحلّته القشيبة، والذي يدقّ ويخفق خفقاناً شديداً، لا يعدو كونه، يا سيدي الفارس، حجراً صغيراً جميلاً.

الفارس : لا تخطئي، فأنا حسّاس جداً. وأسكب في بعض المرات سيولاً من الدموع. لكن ليس بوسعنا أن نبكي من أجل الجميع. فهذا يفوق قوانا البشرية. ولا بدّ من الاختيار.

أرامنت : فلندع قضية شقيقاتك جانباً. لأنّك لن تعاني منها إلا تعب الفكر. لكنّي واثقة من أن السيد والدك لن يطاوعه

قلبه على التضحية بالثلاث، حتى ولو أرغمته الظروف على أن يزوّجك سيسيل. عليك إذاً أن تقدّر تبعات عملك. فهل يسعك أن تعيش فقيراً؟

الفارس: ماذا تقصدين بذلك، يا أرامنت؟ سوف أتمكّن من أن أشتري بزّة جديدة من حين إلى حين، أنّى كانت الظروف؟

أرامنت: أجل. ومهما تكن موارد السيد أورلا ضئيلة، فأنا على ثقة من أنه لن يدعكما، أنت وسيسيل، محرومين من الملابس المزركشة. إلا أنّك فتى وسيم، يا سيدي الفارس، ومن أسرة عريقة جداً. ألم تحلم بأن يُقام لك حفل زواج مهيب؟ وأن يتاح لك دخول البلاط، والمشاركة في الحفلات، ونيل حظوة الملك، وأن تنعم يوماً بمنصب قياديّ رفيع؟

الفارس (متعجباً بأسى): تخيّلي أنّي لا أحلم إلاّ بذلك منذ أن بلغت الخامسة عشرة! لكنّني أهوى سيسيل. أنت قاسية القلب، يا أرامنت، لمَ تلهين بتحريك النّصل داخل جرحي؟

أرامنت: كيما أرى إن كنت سأقدر أنا على أن أمنحك موافقتي.

الفارس : إنّي لأضحّي بأثمن شيء في الدنيا مقابل أن أكون على فرس في مقدّمة جنودي ونشنّ الهجوم! إيه رائحة البارود وبريقَ النصال تحت الشمس، وكأسَ الحِمام! . . . يا لها من حياة رائعة!

أرامنت : إيّاك، والحال هذه يا فارسي الصغير، أن تحمل سيسيل رديفة. فالفارس لا يجيد الهجوم على الأعداء والمرأة التي يهواها خلف ظهره. لا تنكّس رأسك هكذا. بل انظر إليّ.

(ترفع رأسه فيمسك بيديها ويقبّلهما)

الفارس : آه من يديك، من يديك! إنّي هائم بيديك، يا أرامنت.

أرامنت : أنت هائم بيديّ، وهائم بشنّ هجوم، وهائم بسيسيل، وأخشى أن تكون في نهاية الأمر هائماً بنفسك فقط. إنّي أرفض منحك موافقتي، يا سيّدي. لن تخطف تلميذتي.

الفارس : هل فكّرتِ فيما تقولينه، يا أرامنت؟ عندها سأقتل نفسي.

أرامنت : خنصري يشير عليّ بالرفض.

الفارس : وأنتِ تصدقينه؟ دعيني أراه عسى أن أقنعه.

(يمسك بخنصرها ويقبّله . يدخل السيد أورلا)

السيد أورلا : أيّها الفارس .

الفارس (يحيّيه) **:** هات يديك ، أقبّلهما . يا سيدي .

السيد أورلا : تقبّلُ يديّ أنا أيضاً؟ هل ترى المسألة طبيعية ، أيّها الفارس؟ فأنا لا أفتح من باب في هذا البيت إلاّ وقع نظري عليك وأنت منهمك بتقبيل أحدهم .

الفارس : كنت أقدّم تحيّتي لأرامنت .

السيد أورلا : وبعد قليل تقدِّم تحيّتك لابنتي . أنت فتىً تقدّم التحيّات على نحو فائض جداً ، أيها الفارس . وشؤوني أنا ترغمني على الخروج من بيتي والعودة إليه بكثرة . فعليك أن تتصرّف من الآن فصاعداً على نحو يمكّنني من فتح الأبواب دون وجل .

الفارس (وهو ينحني بوقار) **:** أعدك بأن أحرص على ذلك ، يا سيّدي .

(السيد أورلا يخرج)

هل تحدّثتُ إليه بما يكفي من الاحترام؟ يبدو لي أنّي تصرفت حياله على خير ما ينبغي .

أرامنت : على أحسن ما يرام . إلاّ أنه وجدك تقبّل يدي الفتاة التي يغازلها ، هذا فيما أنت قد عقدت العزم على خطف ابنته مساء اليوم .

الفارس : ماذا تقولين؟ السيد أورلا يغازلُكِ؟ أنا لا أقوى على احتمال ذلك!

أرامنت : حقاً؟ وبأية صفة؟

الفارس : ألم أقل لكِ؟ أنتِ شقيقتي . سأمضي لمقابلته على الفور وأطلب منه تفسيراً لسلوكه . إعلمي، يا أرامنت أنّي لا أسمح لأحد بأن يزعجك!

أرامنت : من قال لك بادئ ذي بدء إنه يزعجني؟ أمّا أن تطلبَ منه تفسيراً لسلوكه، فعليك الانتظار حتى يوم غد . وما دام سيأتي ليطلب منك تفسيراً لسلوكك، فيمكن الاكتفاء بتبرير واحد .

الفارس : إنّ الانتظار حتى غد لحماقة، فسوف تكون له اليد العليا، وأكون أنا بطبيعة الحال قد فقدت نصف مبرّراتي . إنّي ذاهب إليه من فوري!

أرامنت (توقفه) **:** وماذا لو منعتك أنا من الذهاب إليه؟

الفارس : أنت تطربين إذاً لتمهيداته؟ إنه رجل ناهز الأربعين، وقد أضحت إحدى رجليه في القبر؟ إنّك تذهلينني، يا أرامنت . أنتِ لا تجيدين قراءة ما يعتمل في قلبك . لا يمكن لك أن تهوَيْ هذا العجوز!

أرامنت : من قال لك إنني أهواه؟

الفـارس : إنك تـهـوينني أنا ، يا أرامنت ، مثل أخـيك . لأنني أحب سيسيل . إنما تهوينني أنا .

أرامنت : وهذه الآن حكاية جديدة!

(تدخل سيسيل وقد احمرّوجهها غضباً)

سيسيل : يا سيّد ، مـضت سـاعـة وأنا أنتظرك في المكـان المتّفق عليه . أنا أعلم أنك قد حضـرت مـنذ وقت طويل : لقد سـمـعت جـرس المدخل الخـارجي . وهـا أنت منهـمك بالحديث مع أرامنت!

الفارس (يُقَبِّل ُنحوها) **:** سيسيل ، يا حبيبتي ، إنّي أضع معها اللمسـات الأخيـرة استعداداً لهذا المسـاء . لقـد أرغـمني والدي على القـسـم أن لا أعـود إلى هنا بعـد اليـوم . والأمـور تجـري مـتـدافـعـة : ولا بدّ من أن أخطفك مع حلول الظلام .

سيسيل : يا سيّد ، إذا لم تكن عندك لهفة لتراني حين تأتي إلى هنا ، فكيف ستكون عليـه الحـال بعـد أن نتزوج وتـصير قـادراً على رؤيتي في كـل سـاعـة؟ لا بدّ لي من إطالة التـفكرّ في الأمـر ، ولـم أعـد أعـرف إن كنت ُسـأدعك تخطفني .

الفارس (يتقدم ليمسك بيديها قائلاً) **:** سيسيل ، يا حبيتي!

سيسيل : كلا ، يا سيد . فهذه الكلمات التي تُجيدُ التفوّه بها ، قُلها لغيري . وابحث عن أيادٍ أخرى وقبّلها ، يا سيّد .

الفارس : هذه خيانة شائنة . من الذي تجرّأ فأخبرك بذلك؟ إنّه أبوك ، أليس كذلك؟

سيسيل : لم يقع نظري على أبي ، من بعد الغداء ولم يقل لي شيئاً البتّة . لكنّي وقد بتّ أعرف الرجال منذ زمن طويل ، فهمتُ كل شيء وأنا أنتظرك .

الفارس : من هو ذلك الدنيء الذي تصرّف بوضاعة فنقل ذلك إليك ، يا سيسيل؟ صحيح أنّي قبّلت يديْ أرامنت ، بيد أنّي كنت أشكرها ، وقد قبلتْ أن تمدّ يد المساعدة لحبّنا . . .

سيسيل : ماذا قلت أيها السيد؟ وهل أصدق أذنيّ؟ لقد قبّلتَ يديْ أرامنت؟ الحقيقة أن الذهول يستولي عليّ! . . .

الفارس : لكنّك قلت لتوّك إنهم قالوا لك إنهم قد شاهدوني!

سيسيل : قلت لكَ إنه ما من أحد قال لي شيئاً قط ، أيها السيد! بل أنت رغبت في أن تأخذ على عاتقك مهمّة إعلامي بذلك ، وهذا على الأقل دليل على استقامتك . هيّا . سأظلّ أمحضك الودّ، على اعترافك هذا ، رغم قسوته ، بعد أن فقدتَ حبّي . وداعاً ، أيهاالسيد . تمسّكْ

بالعهد الذي قطعته على نفسك حيال السيد والدك. ولا تأتِ أبداً من بعد.

(تخرج)

الفـارس (يرتمي على قـدمي أرامنت) : يا أرامنت، سـألفظ أنفاسي في هذه اللحظة على مرأى منك. إلحقي بهـا، قـولي لهـا إنّي أحبّهـا، قـولي لهـا إنّي لا أهواكِ أنتِ. صحيح أنّ يديك عذبتا المذاق تحت شفتيّ، إلا أنّها متعة آنية. أما أن تشيح سيسيل بوجهها، فسوف يعمُّ الظلام هذه الحديقة! أسرعي، أفهميها أنّي لا أهوى سواها، يا أرامنت، وأنا أقسم لك على أنّي سأحبُّك أبداً!

أرامنت: طيّب، يا سيّدي. الوقت يجري. أنا لا أريد أن ألهو بتعداد خلافاتكما بل سأسعى إلى تسوية أموركما. أما أنت، فعليك أن تُعِدّ كلّ شيء لهذا المساء.

الفارس: أنت توافقين إذن على أن أخطفها؟

أرامنت: سوف أرى عندما يحين الوقت، إن كان عليّ أن أدع الأمور تمضي في مسارها حتى النهاية. لكنّي أوافق على الأقل، على أن تتظاهر كأنّك ستقوم بخطفها. وأنتما على حق، لأنّها قد تكون وسيلة لإقناع والديكما.

الفارس : شكراً! إنّي أهيم بك، يا آرامنت! أعطيني يديك!

أرامنت : سيدي، إنك لتجسّد عدم الوعي بعينه!

الفارس : هذا صحيح، لقد نسيت. لن أعود لمثل هذا من بعد. أو فقط من بعد أن أتزوّج سيسيل ولا أعود مهدّداً بخطر فقدها.

أرامنت (تخرج ضاحكة) **:** توكّل على ذلك، أيها الشاب الفطن!

الفارس (وقد غدا وحيداً) **:** إيه! يا لروعة الحياة. سأمضي لأُخْطِر رجالي السيّافة، فقد نضطر لاستخدام القوة في هذه الليلة. أنا أهيم بسيسيل وأهيم بأرامنت، سأخطف الاثنتين معاً، رغم أنّي لم أبلغ العشرين إلا منذ ثلاثة أيام!

(يخرج)

تبقى خشبة المسرح فارغة هنيهة. تُسْمَعُ موسيقى خفيفة، ثم يظهر السيد أورلا وسيسيل وهما يتجوّلان.

السيد أورلا : سيسيل، لا بدّ من أن أتحدّث إليك. فمنذ وقت طويل وأنا راغب في ذلك. إننا لا نقوم بشيء ذي بال، طول نهارنا، لا أنا ولا أنت، ولم أجد من جانبي الوقت المناسب لذلك. فهذا البيت، همومه الصغيرة

تثقل كاهلي. أنت فتية جداً يا سيسيل، وكلّما كبرت ستتعلّمين أن العيش مسألة قائمة بذاتها. قد تقولين. حَسْبُ المرء في واقع الأمر أن ينهض صباحاً ويرقد مساء، وبشيء من طول الأناة ينقضي النهار. . . ومهما قلّتْ درجة استمتاعه بلذائذ المائدة، أو ببهجة تبادل الأحاديث بعد الظهر بصحبة صديق أو اثنين، يجد الجولة قد انتهت. وحان وقت التوجّه إلي السرير ونسيان كل شيء. إلاّ أن الفكر، لسوء الحظ، يظلّ يعمل.

سيسيل: أجل، يا بابا.

السيد أورلا: «أجل، يا بابا». هذا لا يعني شيئاً. أنا لم أطلب إليك أن تصغي إليّ بكل تهذيب، وأنت تفكرين بمسألة أخرى، يا سيسيل. بل أطلب إليك أنَ تُعْملي فكرك لتفهمي ما أقوله لك. إنّه لأمر في غاية البَساطة أن تفكّري كطفلة قائلة: «الآباء أغبياء وتكفيرهم محدود. وهم يعيشون بأفكار مسبقة حملوها من جيل آخر. ولا يعرفون شيئاًمما هو صالح. فعلينا أن نصغي إليهم بكل احترام، مراعاة للأصول السائدة – نعم يا بابا، أعدك بذلك يا بابا – وننتظرهم من بعد ليديروا ظهرهم، حتى نتصرّف على هوانا.

سيسيل : لا، يا بابا.

السيد أورلا : «لا، يا بابا»! إنهـا ذات الإجـابة. أنا لا أطلب منك كلّ هذا الاحترام، يا سيسيل، بل أريد رؤية بريق صغير في عينيك يكون دليلاً على أنّك تُصْغين إليّ. لو تحدّثتُ إليك مثل أب وأنت مثل بنت صغيرة، لافترقنا بعد قليل بانحناءة مهذبة من جانبك وتربيتة ودية منّي على وجنتيك، من غير أن نكون قد تقدّمنا خطوة واحدة. بودّي أن تتخلّي عن امتيازات سنّك، وأن توليني هنيهة، ما تولينه ولداً آخر من انتباه وتقدير.

سيسيل : أنت تعلم أنّي أطيعك على الدوام يا بابا، في كلّ شيء وبكلّ احترام.

السيد أورلا : طيّب! أنت تتحامقين الآن. وتعلمين حقّ العلم أنّي لا أسألك عن هذا. لكنّ شيئاً ما في نظرتك، قد فضح أمرك في النهاية وأعتقد أنك قد فهمتني. فأنت كائن صغير يتوقّد حيوية وذكاءً، حكيمة مثل صينيّ عجوز رغم ملامح الطيش، لكنّ أعرافاً مغرقة في القدم أرست فيما بيننا حاجزاً لا يمكن تجاوزه. أمّا وأنا أبوك وأنت ابنتي فنحن نعتقد كلانا أنّنا مرغمان على تأدية أدوار جاهزة. فكلّ ما سأقوله لك موسوم سلفاً داخل

ذهنك بسمة من الابتذال والامتثال والسأم. وهذا من جانبك ظلم جائر يا سيسيل. تخيّلي هنيهة أنّي لست أباك، وأؤكّد لك أنّي رجل طريف وفتّان.

سيسيل: نعم، بابا.

السيد أورلا (بمرارة): نعم، بابا! لا تجيبي بشيء مطلقاً، وأعتقد أنّنا سنتقدّم بسرعة أكبر. سأبدأ، يا سيسيل، فأصرّح لك بأنّي تقريباً في مثل سنّك.

(ينظر إليها برضىً)

آه! لقد نجحت في إثارة دهشتك على كلّ حال! إلا أنّي أرى بوضوح أنك ما زلت حذرة. أنت تقولين في نفسك إنها بداية غير مألوفة، لكن لنأخذ حذرنا رغم كل شيء. لأن الأمور سوف تتحوّل إلى محظورات ودروس أخلاقيّة بغير ذلك. أتدرين كيف تبدو هيئتك الآن، يا سيسيل؟ إنتِ مثل أسير تقوم الأركان العامّة المعادية باستجوابه... إلاّ أنك كبيرة وجميلة، وبعد عام أو بعد شهر، بل ليس من يدري، فربما غداً تنتقلين أنت أيضاً إلى المعسكر الآخر: وتصبحين امرأة. سيكون بوسعنا عندئذ أن نتفاهم، لكن ربّما يكون قد فات الأوان. وبودّي لو أجد درباً إلى قلبك قبل ذلك.

سيسيل : لكنّ قلبي ملك لك، يا بابا.

السيد أورلا : إنه مثل صندوق صغير مغلق ضاع مفتاحه ولستُ أدري البتّة ما بداخله.

سيسيل (بعد أن تتريّث هنيهة) **:** لم أدرك ما هو قصدك، يا سيدي.

السيد أورلا : إيه! هذه المرة، لم تقولي بابا. إنه لتقدّم. سأُدلي أمامك بتصريح آخر، يا سيسيل؛ لسنا فقط من سنّ واحدة، لكنّك أيضاً تروقين لي كثيراً. فيا لحسن طالعنا أننا تخلصنا معاً من ورطة الأعراف ومراعاتها. ولو كنت بنتاً صغيرة على درجة كبيرة من الدّمامة. أو كنت متزمّتة أو كنت حمقاء ليس إلاّ، لما راودتني فكرة محاولة جذب انتباهك. وها قد مضت عشر دقائق كاملة وأنا أعبّر بكلام بارع لكي أُبهجك، لكنّني لست واثقاً من أني قد أثَرتُ شيئاً من الدهشة في نفسك. المسألة محزنة جداً، يا سيسيل! وسوف تلاحظين حين تكبرين قليلاً أن العالم ليس طافحاً بالعديد من الرجال المدهشين. وها إنّ أحدهم في متناول يدك. لكنّ المحزن في الأمر أنّك لم توليه الاهتمام الكافي بحجّة أنه والدك.

سيسيل (بعد شيء من التريّث) **:** قد تكون ضيّقتَ الخناق عليّ بشيء من السرعة أيها السيد. هذا هو لقاؤنا الأول. وعلينا أن نلتقي مجدّداً.

السيد أورلا : شكراً، يا سيسيل. أنت فتاة ذكية، وأنا قد أخطأت، والحمد لله. بل أنت الحكمة بعينها. الواقع أنّي تسرّعت بعض الشيء في اتّخاذ قرار. وعلى المرء أن يظلّ فتىً يافعاً لكي يعتقد بأنه يفتح القلوب عنوة... أما نحن فسوف نستغرق الوقت الكافي دونما تسرّع. (أنت ترين أنّك تعرفين في بعض الشؤون أكثر مما أعرف). دعيني أقبّل يدك كأنّك سيدة. وها أنا أُذكّرك بأنك وعدتني بلقاء آخر. فهل تقبلين بأن يكون الموعد هذه الليلة بعد العشاء، في الحديقة؟ سوف يتظاهر كلانا بالصعود إلى غرفته، وحين ينام الجميع نعود لنتلاقى هنا. إذ من الأفضل ألاّ يكون أحد على علم بلقاءاتنا.

سيسيل (تمتم حائرة) **:** هذه الليلة، أيها السيد؟

السيد أورلا : أجل. هل يبدو ذلك في نظرك أسرع مما ينبغي؟ هل ترغبين في التريّث والتفكير قليلاً؟

(سيسيل لا تقول شيئاً)

هيه! أجيبي، ماذا يضايقك؟

سيسيل (تقول بغتة): بما أنك رغبت في أن نتكلّم بصراحة: فهذه الليلة، يا سيدي، سأكون مُحتَجَزَة.

السيد أورلا (مجفلاً): ستكونين محتجزة؟ بعد العشاء؟ ماذا تقصدين بقولك هذا؟ أخشى أن أكونَ أسأتُ سمعك.

سيسيل: سأكون محتجزة. ولا أستطيع أن أضيف قولاً آخر، يا سيدي.

السيد أورلا (يقول على نحو مباغت وقد احتدم غيظاً): ألا يسعك أن تضيفي قولاً آخر، يا آنسة؟ ألا تعلمين أنك تسخرين مني في هذه اللحظة؟ أنا لن أسمح بذلك! قد يكون لديك موعد آخر؟ هيّا، أجيبي!

(سيسيل تلوذ بالصمت).

سيسيل، أنا أبوك، وآمرك أن تجيبي! فما قلتِه لا يحتمل. «هذه الليلة، يا سيدي، سأكون محتجزة». وتتجاسرين على أن تقولي ذلك لي أنا، تقولين ذلك لوالدك وأنت في السابعة عشر! أم أنّك تنوين أن تجعليني ضالعاً في سفاهاتك، أيتها البنت الشقيّة؟ ماذا تفعلين بما يتوجّب عليك من احترام حيالي في كافة

الأحوال؟ هل نسيت من أنا، وهل عليّ أن أذكّرك بذلك؟ إيه! أؤكّد لك أنّي أشعر بالأسف على سرعة تصديقي وثقتي. إلا أنّي سأعرف كيف أعاملك من الآن فصاعداً، وعلى نحو ما تستحقين. إصعدي إلى حجرتك، يا آنسة.

(سيسيل على وشك أن تتكلم).

لا تتفوّهي بكلمة واحدة! إنّي أحتجزك هناك حتى أرى فيك رأياً آخر. وأقسم لك على أنّي سوف أوعز بأن لا تغادريها هذه الليلة! هيّا!

(سيسيل تنحني أمامه باحترام وتتوجّه إلى البيت).

(حين تبلغ العتبة تستدير وتقول له بأسى).

سيسيل: أنت ترى كم ذلك عسير، يا سيدي؟

السيد أورلا (بعد أن خرجت): «أنت ترى كم ذلك عسير يا سيدي» يا للوقاحة! تقول ذلك لأبيها! ألم يعد هناك شيء ذو قدسيّة!

(يقول لأرامنت وهي داخلة)

يا أرامنت، أكاد أخرج عن طوري!

أرامنت: ولكن ماذا جرى يا سيدي؟

السيد أورلا: عقدت النية على التحدث إلى سيسيل بودّ وصراحة، وجهدت ما وسعني لنيل ثقتها، وجعلها

تدرك أنّي لا أتحدث إليها كأب بل كصديق. وحسبت أنّي أخرق جدار الغموض وأتفاهم معها على نحو أفضل: عرضت عليها أن نلتقي في الحديقة بعد حلول الظلام، ظناً مني أنّ الجوّ الرومنسي قد يسهّل علينا مهمّة تبادل الحديث، كما طلبت إليها أن تكون صريحة معي وأن تنسى من أنا. فهل تعلمين بماذا أجابتني؟

أرامنت (ضاحكة): أنّها لا تستطيع في هذه الليلة وأنها محتجزة؟

السيد أورلا (مجفلاً): اللعنة على الأبالسة! أنتم في هذه الدار تهزؤون بي، يا آنسة؟ أنت إذاً على علمٍ مسبق بالموضوع؟

أرامنت: سيدي، أنت رغبت في أن تتحدّث سيسيل إليك كصديقة، وأعتقد أنها قدّمت الدليل المؤثّر على أنّها محضتك ثقتها، حين قالت لك الحقيقة بكل بساطة. ما قالته صحيح تماماً. إنها محتجزة هذه الليلة.

السيد أورلا: ابنتي محتجزة هذه الليلة! وموجّهتها تؤكّد لي ذلك بنفسها وبلهجة فيها كل الجدّ! لا بدّ أنّنا في مصحّ للمخبولين. أليس من المساس بالسرّ أن أسألك، يا آنسة، من الذي يحتجز ابنتي هذه الليلة؟

أرامنت: بلى، يا سيدي. فذلك هو الإفشاء بعينه. إنّ المسألة سرّ بينها وبيني.

السيد أورلا: إنه سر بينكما! يا له من أمر رائع . . . أما أنا، يا أرامنت، فمتألّم جداً. ليست سيسيل إلاّ فتاة صغيرة طائشة غير عاقلة، أما بالنسبة لك، فكان يحدوني الأمل ألاّ تسخري مني. أنا رجل أُعاني من العزلة الشديدة، يا أرامنت. المرح ظاهر عليّ بينما أنا في معظم الأوقات على حافة اليأس. حين أدخل إلى مكتبي وأغلق الباب على نفسي تظنّون جميعاً أنّي أعمل. (ما الذي أعمله، يا إلهي. أنا لم أعمل في حياتي شيئاً ذكر!) جميع من في المنزل يسيرون على رؤوس أقدامهم كي لا يزعجوني. أتعرفين، ما أفعله في حقيقة الأمر داخل هذه الصومعة؟ ألبث جالساً إلى المنضدة طيلة ساعات وأنا أحدّق في الجدار أمامي.

أرامنت: ينبغي عليك أن تأتي لتتحدّث إلينا، يا سيدي. وسوف نكون أنا وابنتك في غاية السعادة ونحن نخفّف من عنائك.

السيد أورلا: أنا لا أشعر معكما بالثقة. إذ يتراءي لي دوماً وجود سرّ ما، بينكما. فأنتما تضحكان ضحك

المجانين، والمطرّزات التي تشتغلانها بإيديكما، وكل واحدة تسرّ في أذن الأخرى كلاماً لا يعرف فحواه إلا الله. أما وجودي بينكما فيجعلكما في حالة جمود.

أرامنت: إن ما يتوجب علينا من احترام حيالك هو الذي يوقفنا، يا سيّدي. فأنت هنا المعلم وهمومك خطيرة جداً. ونحن نعتقد أن ما يعتمل في دماغك شيء مختلف جداً عن ترّهاتنا.

السيد أورلا: هذا هو الخطأ بعينه. واعلمي، يا أرامنت، أنه ليس من شيء في دماغي غير السأم. إنّ ملكيّتي متواضعة، لكنّ شؤونها تُدار تلقائياً. كما أنّي لم أسعد قط، على نحو ما يفعل أكثر الرجال الذين يماثلونني سنّاً، بالميل نحو السياسية ميلاً جدياً. حين كنت في العشرين، كانت حياتي، مثل حياتكما، قائمة على الحماقات وكان الوقت يتسرّب من بين أصابعي ويتبدّد. وقد تراءت لي ضرورة اتخاذ موقف يكسبني أهميةً حين أكبر وأنضج. فكان كلُّ يوم يمرّ يُحكِم عليّ إغلاق أبواب ذلك السجن المقيت، الذي جعلتُ من نفسي فيه سجّاناً وحيداً على نفسي. فلِمَ لا أراكِ راغبةً في إخراجي منه يا أرامنت عن طريق حبّك ليَ؟ سيكون هذا عمل خير وإحسان.

أرامنت: لست أحسب، يا سيدي، أنّ هناك من وقع في الحب، تحت تأثير دافع آخر غير المتعة. لكنّك ما تزال فتياً وفاتناً. فلمَ لا تفكّر في اتخاذ خليلة؟ إنّ من شأن ذلك أن يملأ عليك أيامك.

السيد أورلا (متعجباً): إليكم! يا له من سؤال! إنمّا عليّ إنا أن أطرحه عليك.

أرامنت: إني أعرف في هذه المدينة ما لا يقلُّ عن امرأتين أو ثلاث نساء، فَتيّاتٍ وجميلات، لديهنّ استعداد تام لذلك.

السيد أورلا: وأنا نفسي أعرفهنّ. لكنّي لا أقيم لهنّ أهميّة تفوق أهميّة قِرْدَة.

أرامنت: وإذا كان لاَ بدّ من شفائك؟

السيد أورلا: ليس الحب وسيلة علاج! فبعد زوال المتعة، وهي تزول بسرعة، وسوف تخبرين ذلك يا بنيّتي ذات يوم، لا يبقى في وسعي أن أتوجّه إليهنّ بكلمة واحدة. وقد ألفظ أنفاسي من السأم وأنا مطروح عند أقدامهنّ. فالخير لي إذاً أن أبقى وحيداً بمواجهة الجدار. لأنّي، على الأقل، لا أرغم نفسي على الكلام.

أرامنت: قل لي بكل صراحة يا سيدي، هل كنت ستجهد نفسك بالتحدّث إليّ مطوّلاً، لو أنّي فتحت لك بابي؟

فبعد زوال المتعة، وهي تزول بسرعة كلما قلت لي قبل قليل، ستكون الحال ذاتها تماماً.

السيد أورلا : معك أنت؟

أرامنت : معي أنا، يا سيدي، لأنّك لا تحبني على نحو ما أريد أن تكون عليه حالي ذات يوم. أنت ينتابك السأم: وأنا فتيّة متوقّدة، وأقطن منزلك. ها قد زال الغموض كله. كنتَ قبل حين تحدّثني على البارون. هلاّ قلت لي بصدق، من هو الرجل الذي يكون في وضع مماثل، ولا يحاول كلّ ليلة، حين يصعد لينام ن يخدّش قليلاً لحظة مروره، باب حجرتي؟ أنت تتصرّف إذاً وفق النظام العادي للأشياء، وأنا أفعل الشيء ذاته حين لا أفتح الباب. لكن كُنْ واثقاً من أنّي ساعة أعرف أنّي أُحب وأنّ هناك من يُحبّني، فسوف أسمع الحفيف، لأنّي ذات سمع مرهف.

السيد أورلا (بقسوة)**:** وماذا عن الغلام الذي كان يقبّل يديك، قبل قليل، يا آنسة، هل تسمعينه لو طرق بابك؟ أنا لست ابن البارحة، يا أرامنت: كنت ما تزالين بنتاً صغيرة، حين حاولت نساء أخريات أن يلعبن تلك اللعبة معي وقد تعلّمْنَها قبلك بزمن طويل. لا تحاولي

إذاً أنت تقصّي على مسامعي حديث خرافة، أطول من ذلك! فمثل هذا لا يليق بك ولا بي. كما أن الغشاوة سقطت أخيراً عن عينيّ. وما سيسيل إلاّ واجهة، وهذا يفسّر كلّ ما تبدينه من أشكال المجاملة. فهذا الغلام إنّما يأتي إلى هنا لكي يقابلكِ أنت!

أرامنت: وماذا في الأمر لو كان كذلك، يا سيدي؟ أنا فتاة، وأنا حرّة. وهل بوسع أحد أن يعترض على ذلك؟

السيد أورلا: أنا وأيمُ الحقّ!

أرامنت: أنت حقّاً؟ وبأيّة صفة؟

السيد أورلا: بصفة... لا تجعليني أخرج عن طوري! والدك، يا أرامنت، عهد بك إليّ. وأنا مؤتمن حياله على شرفك. إنّي وثوق، بل قد أكون ضعيفاً بعض الشيء لطيبة قلبي المفرطة، إلا أنّي لم أتساهل بشأن تلك النقطة قط. أمّا إذا دفع بك الطيش يوماً لأن تفتحي بابك لذاك المتظرّف، فواجبي عندئذ أن أحيط والدك بالأمر علماً. وكوني على ثقة من أنّي سأفعل.

أرامنت: وماذا لو فتحت بابي لك أنت؟ من سيتولّى عندئذ مهمة إعلامه، يا سيدي؟

السيد أورلا (وقد بدا عليه شيء من الضيق): ولكن في تلك الحال . . . كفّي عن المزاح يا أرامنت. لأنَّ فكاهاتك لا تضحك أحداً غيرك.

أرامنت: وكفّ أنت عن الأحلام بصوت عال، يا سيدي! فالفارس الصغير لا يأتي إلى هنا من أجلي أنا. إنّما يأتي من أجل سيسيل. فالكلّ يعرف ذلك وأنت أوّل الجميع. وها أنا عازمة على إطلاعك على سرّ إذا ما أقسمت لي على أن لا تبوح به لأحد. هيّا أقسم أوّلاً. فليس لي بك كبير ثقة. فأنت رجل مستقيم لكنّك ذو شخصيتين أو ثلاث شخصيات، حتى أنك تتخاصم أحياناً مع نفسك.

السيد أورلا: طيّب. إنّي أقسم. لكن ليأخذني الشيطان إن كنت أفهم شيئاً!

أرامنت: أقسم بأغلى شيء لديك على أنك لن تبوح بذلك لأحد. هيّا! وعليك أن تبصق استكمالاً للإجراءات.

السيد أورلا: أنت يا أرامنت تلعبين بعقلي. ها أنا أبسط يدي، وأبصق.

أرامنت: إيه! طيّب. إن الفارس ليس مهتماً بي، يا سيدي، لأنه سيخطف ابنتك في هذه الليلة.

السيد أورلا (يظهر عليه الذهول، ثم ينفجر ضاحكاً) : آه! آه! النكتة مضحكة! أنت إذاً تعتبرينني غبياً؟ أم أباً هزلياً؟ ويتراءى لك أني سألبس معطفاً غامقاً وأعرّض نفسي للإصابة بالزكام في الحديق، لكي أتأكّد إن كنت سأعثر على سلّم؟ هيّا عابثي غيري على هذا النحو، يا آنسة!

أرامنت : يبدو لي ذلك نوعاً من الحذر. وإذا كانت سيسيل قد قالت لك بنفسها إنّها محتجزة هذه الليلة، فينبغي أن يكون لديها داعٍ لذلك.

السيد أورلا : سأحتجز سيسيل في حجرتها وأرتج عليها الباب بالمفتاح لأفوّت على تلك البنت الشقيّة تأدية أحد الأدوار الهزيلة بينك وبين عشيقك، يا آنسة! واعلمي جيّداً أنّي سوف أنام قرير العين. ولن أهتمّ في نهاية المطاف إن كنت عازمة على أن تلقي نفسك بيديك إلى التهلكة!

أرامنت : ذلك مؤكّد. لكنّي، لو كنت أنا مكانك، لقمت رغم كل شيء بجولة قصيرة لأتأكد إن كان أحدهم يبيّت عملية خطف.

السيد أورلا : هذا حسن، واصلي سخريتك. فأنا أرى الآن بوضوح أنّك لا تحبينني وأنّك لن تحبيني أبداً. أنا متوجّه

إلى مكتبي لأفكّر في الوسائل الكفيلة بالتخفيف من ألمي. وأنا الآن أكبر سناً من أن أستسلم لليأس. وغداً أقول لك ما اتخذته من قرار. فوداعاً يا أرامنت! أنا رجل مطعون في الصميم.

(يمشي خطوة ثم يستدير)

ذلك أنّي أريد أن أقول لك شيئاً. صحيح أني كنت أخدّش بابك، لكن من غير إلحاح. وكنتُ سعيداً تقريباً - ويعلم الله إن كنت أهوى مباهج الحب - كنتُ سعيداً لأنك لم تفتحي قط.

أرامنت (تتمتم وقد بدت بدورها حائرة): ماذا تقول، يا سيدي؟

السيد أورلا (يواصل قائلاً): أجل. قد تكونين عشيقة ذلك الغلام، فيما أنا أضع نفسي موضع السخرية وأنا أكلّمك على هذا النحو. والاحترام في نظري ليس بالأمر اليسير، يا أرامنت. وأنا أرى في كل قميص يخفق حول خصر ليّن شيئاً ينتزع من ذهني كلّ مفهوم للاحترام - إلا أني حين أقف أمام بابك المغلق (والقلب معرّض لهذا النوع من التناقضات المتعذّر تفسيرها) كنت أستعذب، داخل ما أنا فيه من مرارة كرجل، أن أتعلّم كيف أحترمك. هذا كلّ شيء. واسألي الليلة ذاك الفتى اليافع إن كان يفهم شيئاً من كلّ ذلك.

(يخرج. تبقى أرامنت وحيدة فتبتسم سعيدة وتتمتم)

أرامنت: ما كان عليك إلاّ أن تقول هذا، يا سيدي... وأنت الذي كنت تقاسي كلّ ذلك العناء!... ها أنت قد تفوّهت على غير ما إرادة منك، بالكلمات التي تفتح أبواب الفتيات... يا للرجال الصغار المساكين، يا للديكة الصغار المساكين!... فمنذ حداثة سنّهم وهم ينفشون ريشهم ليكونوا منتصرين... ليتهم يعرفون أنه حسبُ أحدهم أن يكون متألماً بعض الشيء وحزيناً، لينال كلّ ما يريده من غير صراع... إلاّ أنّه ليس من مهمّتنا نحن أن نعلّمهمْ ذلك! وأنا مطمئنة بشأن ذاك، لأنه سيكون في الحديقة مع حلول الظلام: سيكون بمعطف من لون السور، وسيضع مسدسات في جيوبه، وفمه مليء بطعم الانتقام. وقد يتعرّض هناك للإصابة بالزكام، وقد يتعرّض هناك للوقوع في الهوى... أو قد يتعرّض للإثنين معاً. سوف نرى على كل حال! فالكاتب نفسه لا يعرف ذلك.

تخرج بعد أن تؤدي انحناءة صغيرة. تظلّ خشبة المسرح فارغة. ويبدأ الليل بالهبوط هبوطاً حقيقياً على نغم جملة موسيقية ذات لحن ساحر. بعد أن يحلّ الظلام - وعلى نحو

سريع بالنسبة للفصل من السنة - يظهر رجل متلفّع بمعطف لونه بلون السور.

يتقدّم الرجل ذو المعطف بخطى حذرة. ثم يومئ بيده، فيظهر من الظل رجلان بمعطفين غامقين، وينضمان إليه.

الرجل: صه!

الرجل: صه!

يخرج ظلّ آخر بمعطف غامق من البيت، وقد أخفى وجهه في ثنايا معطفة. ذلك هو السيد أورلا. يومئ الرجل ذو المعطف بلون السور إلي زميليه بالابتعاد. يدور السيد أورلا والرجل ذو المعطف أحدهما حول الآخر. ويقرّران أخيراً أن يتبادلا الكلام.

السيد أورلا (بصوت خافت)**:** السيد داميان؟

السيد داميان (على النحو ذاته)**:** السيد أورلا؟

السيد أورلا: أجل، أنا.

(يتبادلان التحيّة)

السيد داميان: أشكرك، يا سيدي، لأنك أحطتني علماً.

السيد أورلا: لا داعي لذلك، يا سيدي، لأنّني لم أقم إلاّ بواجبي. فأنا أبٌ مثلك، يا سيدي.

(يشير صوب ظل الرجلين اللذين ينتظران)

هل جاء هذان السيدان بصحبتك؟

السيد داميان : إنّهما رجلان قويّا الشكيمة وقد حرصت على اصطحابهما . إذ خطر على بالي أنّه قد يلزمنا أن نردّ على القوة بقوة مثلها .

السيد أورلا : لقد تصرّفت بحكمة ، يا سيدي . فأنا نفسي قد تسلّحت بمسدسين .

(يريه إيّاهما تحت معطفه)

السيد داميان : كيف أردّ لك هذا الجميل يا سيدي؟

السيد أورلا : إنه لأمر يسير جداً ، يا سيدي . فأنت استودعتني أرامنت . وحرصي على صون شرفها كمثل حرصك أنت . إلاّ أنّك ترتجف . لا تخشَ شيئاً .

السيد داميان : أنا أب ، يا سيدي . ثم إني أقول لك دونما خجل منك ، يا سيدي (أنا رجل قانون قديم) . وقلّما دخلت في منازعات .

السيد أورلا : لستُ أكثر منك خبرة قتاليّة . لكنّ الأمر يتعلق بشرف ابنتي أو بشرف ابنتك (إني أضعهما في مصاف واحد معاً) ، وأنا على استعداد لإطلاق العيار الناري . والحقّ إلى جانبنا على كلّ حال .

السيد داميان: أجل. بيد أني لا أخفي عليك أنّي كنت أفضّل حصول محاكمة هامة. ناهيك بأنّي وأنا أمام الجرم المشهود، سأسحق الغريم سحقاً. لكن، يا للأسف! فذلك قد يأتي بعد فوات الأوان. والعشّاق يتحركون أسرع منّا بكثير، يا سيدي. أما وأنت أبٌ فإنّك تدرك كم يعاني الأب في سبيل حماية بناته!

السيد أورلا: وتقول لي هذا الكلام، يا سيدي، وأنا الذي لبثتُ بعض الوقت خائفاً على ابنتي، من قبل أن أكشف حيلتهما. إذ لم يعد هؤلاء الشبّان اليافعون يقيمون لأيّ شيء وزناً. ويتراءى لي أننا في زماننا كنّا أكثر حرصاً على شرف العائلات.

السيد داميان: إيه! لقد كنّا بدورنا أيضاً جسورين وعلى شيء من الغلظة. وبوسعي أن أسرد على مسامعك مئة واقعة كنتُ فيها على شيء من الطيش والتهوّر. فدمائي وأنا في العشرين كانت فائرة.

السيد أورلا: يوم بدأت أصيرُ راشداً، كان الناس يتحدثون عليك. لقد كنتَ جسوراً، خشن الطباع، يا سيدي!

السيد داميان: إيه! إيه!

السيد أورلا: كما أنّ نساء المنطقة يعرفن من مآثرك الشيء الكثير. حتى أنّهن لا يتلفّظن باسمك من غير أن تعلو وجوههنّ حمرة الخجل.

السيد داميان: إيه! إيه! . . .

السيد أورلا: وكنتُ ما أزال غلاماً حين بدأتُ أحلمُ أن أبلغ يوماً درجة مآثرك.

السيد داميان: إيه! إيه! عفوك ثم عفوك، يا سيدي. صحيح أنّي لم أعرف الكثير من النساء المتحجرات القلوب، في عهد المرحوم الملك. لكنّي أعتقد أنّك أحدثت من بعد دوياً لا يستهان به في مدينتنا الصغيرة، يا سيدي؟

السيد أورلا: صحيح أنّي حطّمت بعض القلوب التي ما لبثت أن كلّفتني غالياً. ذالك هو كلّ شيء. ولا بدّ لمرحلة الشباب على كل حال من أن تأخذ حقّها!

السيد داميان: إلا أنّنا يا سيدي، كنّا نراعي الأصول. ولم نكن نشبه في شيء هؤلاء الشبّان الأغرار. . .

السيد أورلا: الذين لا يرعُوْنَ أيّة حرمة، يا سيدي.

السيد داميان: كنّا نقتصر على النساء المتزوّجات. فزيادة واحد في عدد الأزواج المخدوعين أو نقصان واحد، ليسا في نهاية المطاف بالأمر الخطير!

السيد أورلا: وقد نرضى بخادمة ما عند الحاجة أو بفلاّحة سهلة المنال . . . أما أن نقرب ساحة الأوانس ذوات المحتد، يا سيدي! . . .

السيد داميان: من غير ما اعتبار لشرف الآباء! . . .

السيد أورلا: علينا أن نتصرّف دونما رحمة، يا سيدي! انتبه، هيّا نتخفّى. يبدو لي أنّي لمحت ظلالاً في طرف ممشى الزيزفون. لا بدّ أنّه صاحبنا المغامر.

السيد داميان: أتحسب أنّه قادر على إشهار سيفه؟ فهؤلاء اليافعون من أبناء النبلاء يظنّون أنّ كل شيء مباح لهم.

السيد أورلا: الحقّ إلى جانبنا، يا سيّدي، ناهيك بأنّنا مع الاثنين من رجالك، نصير أربعة.

السيد داميان: أجل. لكن علينا مع ذلك أن نحترز ولا نعرّض أنفسنا للإصابة بجرح ما. فلنتخفّ في مكان بعيد قليلاً. وعند إعطاء الإشارة ندفع برجالنا.

السيد أورلا: لا تخف، فسوف نردع ذلك الغلام من قبل أن يفكّر بإشهار سيفه.

يدخل الفارس بمعطف غامق. يتوجّه إلى المنزل ويعطي إشارة، فتظهر أرامنت على النافذة.

الفارس: هذه أنتِ، يا أرامنت؟

أرامنت: أجل، أنا.

(تخرج من الباب، متلفّعة بمعطف وتتوجّه نحوه).

الفارس: وأين سيسيل؟

أرامنت: أنها قادمة. لكن هناك عائق بسيط سأحدّثك عليه بعد قليل. وينبغي الآن أن تختبئ هنا قليلاً.

(تقوده إلى الجناح الصيني وتدخله إليه).

أرامنت: عليك بالسكون المطلق لحين رجوعي، ولا تأتِ بأيّة حركة مهما سمعت.

(ترتج الباب)

الفارس (من داخل الجناح): لكن لماذا أرتجتِ عليّ بالمفتاح؟

أرامنت: لكي أكون واثقة من العثور عليك عندما يحين الوقت. إلزم الصمت. لا تنبس ببنت شفة. ستكون الأمور على ما يرام.

(تعود إلى البيت وتقوم بإشارة. تظهر سيسيل متخفية بعباءة)

سيسيل: هذه أنتِ يا أرامنت؟

أرامنت: نعم. بوسعك الآن أن تأتي، فكلّ شيء يسير على نحو ما هو متوقّع. سأصعد لإحضار حاجاتك. انتظريني هنا.

سيسيل: أين الفارس؟ أنت تعلمين جيداً أنّي أشعر بالخوف في الظلمة.

أرامنت : لا تشعر الفتاة بالخوف في الليلة التي ستخطف فيها ، يا آنسة ! . . . سوف يأتي الفارس إليك بعد قليل .

(تعطي إشارة أخرى وتتوارى داخل البيت . يُقْبِلُ السيد أورلا ، المتخفّي تحت قلنسوته ، فيدور حول سيسيل التي ينتابها القلق ، قبل أن تتعرّف عليه).

السيد أورلا (هامساً) : هذه أنت؟

سيسيل (هامسة أيضاً) : نعم . وهَذا أنتَ؟

السيد أورلا : نعم .

(يقول وحده)

وقعت العصفورة في الفخّ . فَلِنتظاهر بأنّنا هو .

سيسيل : إني خائفة قليلاً .

السيد أورلا : لا تخشيْ شيئاً ، يا بنيتي ، فأناهنا .

سيسيل : هل أنت متأكّد على الأقل من أنّك تحبّني؟ وإلاّ فما زال أمامنا متّسع من الوقت .

السيد أورلا : كوني على ثقة ، يا حلوتي . فأنا لك إلي الأبد .

سيسيل : لكم تبدو لهجتك غريبة ! إنّي لأُنكرُ صوتك .

السيد أورلا : ذلك أني أتكلّم بصوت خافت مخافة أن يسمعونا . . .

سيسيل : سوف ننطلق بسرعة فور وصولها إلى هنا . هل يقف سيّافتك وخيولك لدى الباب الصغير؟

السيد أورلا : على نحو ما هو مرسوم .

(يقول وحده)

يا لهم من لصوص . كانوا عازمين على خطف ابنتي أيضاً .

سيسيل : ماذا قلت؟

السيد أورلا : قلت : «إنها لطيفة ، لكن لمَ نصطحبُ هذه الطفلة؟» ألن نكونَ من دونِها في حالٍ أفضل؟

سيسيل : قد أكون طائشة ، يا سيد ، إلا أنني لن أقبل باختطاف من غير أن تصحبني وصيفة .

السيد أورلا : طيّب . وهل نعتبر تلك الجويرية وصيفة؟ وماذا سيقول أبوها؟

سيسيل : بل ماذا سيقول أبي؟ لا بدّ للمرء من أن يصمّم على تحمّل شيء بسيط من المنغّصات ، حين يوافق على الاختطاف .

السيد أورلا (وحده) **:** شيء بسيط من المنغّصات! يا لطريقتهن الجريئة في النظر إلى الأمور!

سيسيل : ما لك تتمتم على الدوام؟ إنّي لا أرى وجهك .

السيد أورلا : كنت أقول لنفسي إنّها ستسبّب لنا المتاعب ، وإنّنا سنكون وحدنا أفضل ، يا حبيبتي .

سيسيل : إنها شقيقتي، يا سيدي، وأنا لا أفعل شيئاً من دونها. إلاّ أنّك ستقسم لي على ألاّ تعود إلى تقبيل يديها.

السيد أورلا : ها! ها! ها قد وصلنا.

سيسيل : سوف تقوم باختطافنا نحن الاثنتين، لكنّك ستتزوجني أنا وحدي.

السيد أورلا : وهل تشكّين في ذلك، يا حبيبتي؟

(يقول وحده)

لقد أحسنتُ التقدير. فذلك الولد الفاسد عازم على القيام بضربة مزدوجة.

(يقول لسيسيل)

لم تكن ملازمتي المتواصلة لها أكثر من واجهة مُريحة. ولكن لِمَ نأتِ على ذكر الزواج؟ أليس الحب، أليس الحب وحده كافياً؟

سيسيل : إنّي أحبّك، أيها السيد، وهذا في واقع الأمر سبب كافٍ لأن أتبعك. لكن ألا يتوجب علينا أن نلتزم بالقوانين؟

السيد أورلا : يا لها من كلمة قبيحة ينطق بها هذا الفم الجميل! وهل من قانون آخر غير قانون قلوبنا؟

سيسيل : لكن، ماذا أخيراً عن والدي، أيّها السيد؟

السيد أورلا : بمَ يهمّنا أمر ذلك العجوز الظنون! سوف نرتحل، يا حلوتي. سنكون من أولئك الناس الرائعين، والمكروهين من قِبَل ذوي القلوب الضعيفة، الذين لم تتوفّر لديهم الجرأة للإنصراف بكل ما لديهم إلى الحب: العشاق. العشاق! هل سبق لك أن سمعت هذه الكلمة من غير أن ينتابك الاضطراب، يا أرامنت؟

سيسيل (تتراجع قليلاً وهي تتمتم) **:** أرامنت؟

السيد أورلا : أليس ذلك أفضل من بيت الزوجية والأطفال بصراخهم وهم يتشبّثون بأذيالك والخادمة وأواني المطبخ وتدبير المنزل؟ إنّ الحب يغوص في الحياة اليوميّة مثل من يغوص في ورطة. أما حبنا فسوف يكون فيه كلّ صباح شيء جديد نستكشفه ونعمل على حمايته. ستنشأ بيننا منازعات رهيبة، وسيُلْحق كلّ منّا بالآخر ألماً مبرّحاً. مثْخِناً كلٌ واحدٍ صاحبه بالجراح من غير أن يستغني عنه. سنكون عبدين وطاغيتين في آن معاً. سينظر كل الرجال إليك بلهفة في الاحتفالات حيث سنمضي ليالينا، أما لهفتهم التي ستكشف لك عن حقيقة نفسك فسوف تغريك بأن تعذّبيني. ولن أعرف أبداً إن كنتِ تحبينني حقّاً، ولن أعرف أيضاً ماذا تخفي

ابتسامتك. أمّا إذا تغيّبت ساعة في النهار فإن الغيرة ستظلّ تنهش قلبي. ذلك أنّك ستكذبينني القول دوماً وتظلّين بالنسبة لي لغزاً أبدياً . . . ذلك هو معنى الحياة، يا أرامنت! ذلك هو أن تكوني امرأة وأن تقعي في الهوى!

سيسيل (عرفت أباها بينما كان يتكلم، فظهرت على فمها ابتسامة خفية): يا إلهي، كم أنت مخطئ يا سيدي. ليست بي من رغبة في البعد عنك أبداً، ولا حتى ساعة واحدة. ليست بي من رغبة في أن أكذبك القول. أما أن أفكّر بإلحاق الأذى بك، فتلك فكرة حمقاء! إنّي أعاني أشدّ ألوان الضنى، حين ألمح أصغر ظلّ للألم في عينيك. لست راغبة إلا في أن أكون لك حقيقةً، وأعرف أنّ ذلك نهائي وأبدي. ولا جَرَم أنك لا تزال فتيّاً جداً ولا تعرف حقيقة الفتيات. ذلك أنّ أكثرهنّ هوساً لا يحلمن بغير ذلك، أيّها السيد.

السيد أورلا: أنت لم تقرئي إذن قصة حياة العاشقات الشهيرات؟ إنّهنّ لا يعشقن غير أنفسهنّ، يا بنيّتي! ولم يكن الرجال بين أيديهنّ أكثر من عجينة يكيّفْنَها على هواهنّ. كانوا مجرّد أداة ضمن أدوات فوزهنّ، مثل ما

لديهنّ من أدوات زينة ومجوهرات. أليس هناك ما يغريك إذاً بأن تصيري من أولئك المعبودات الشرّيرات، وأن تحطمي قلوب المحيطين بك؟

سيسيل: كلاّ، وألف كلاّ. فاقتصار المرأة على حبّ ذاتها لا بدّ أن يبعث على السأم. أما عن هاتيك النساء الذائعات الصيت، فهل تحسب أنّهن سيشعرن بميل شديد نحو التغيير لو كنّ حقاً سعيدات بصحبة الرجل؟ إنّي لا أبالي بهنّ، لكن إذا ما أوليتُهنّ اهتماماً ذات يوم، فسوف يكون ذلك شفقة منّي. لأنهنّ عجزن عن العثور على الحب، وهذا كلّ شيء.

السيد أورلا: الحب، الحب، ما الذي تعرفينه في سنّك، عن الحب؟

سيسيل: كلّ ما لا يتمّ تعلّمه عنه، يا سيدي، أي كلّ شيء تقريباً.

السيد أورلا (يقترب): طيّب، سأتولى تعليمك الباقي. . .

سيسيل (تتراجع): إنّ الكلمات التي تتفوّه بها، يا سيدي، لغريبة حقاً، ويتولاني الارتباك لدى سماعها. أنزل قناعك الآن. فأنت تعلم جيّداً أنّي عرفتك رغم الظلمة. وابنتك التي تحبّك وتحترمك، ما عساها تقول

لو عـرفـت أنّك تكلّم على هذا النحـو فـنـيـات أُخَرَ في الظلام؟

السيد أورلا (يشعر بالمباغتة ثم يكشف عن وجهه): طيّب، أجل، هذا أنا، يا أرامنت، مـا دمت قـد عـرفـتني. أنا الذي أشتهيك منذ زمن طويل جداً. لقـد عزمت على استباق هذا الاختطاف الهزلي لأنّي أعرف، أفضل ممّا تعـرفين، أنّه لا يسـعك أن تُحـبّي ذلك الغـرّ. أمّا عن سيسيل، فلا تقلقي بشأنها. إنّها طفلة لا تدرك شيئاً. فلنتـركها وشأنها؛ سوف نودعها في دير ما، أو عند عمّتها. أمّا في هذه الليلة فسوف تتبعينني أنا. لأنّني أهواك. أتسـمـعين يا أرامنت، أنا هيـمـان بك، ولا يسعني الاستغناء عنك من بعد أبداً!

سيسيل (تقول بصوتها الحقيقي): منذ وقت طويل وأنا أعرف أنّك تحب أرامنت. أمـا إذا كنت تهـواها على نحـو مـا تقول، فلمَ لا تتزوّجها، يا أبي؟

السيد أورلا (يجفل ويتراجع هاتفاً): يا أبي! مـن أنت إذن؟ يالك من طفلة شـقـيّة! هل يمكن أن يكون قلبك قـد طاوعك على الاستهزاء بأبيك على هذا النحو؟

سيسيل: وهل أنا التي أقبلت نحوك، يا سيدي؟ هل أنا التي بادرت إلى ذلك الحديث الغريب؟

السيد أورلا : أيّتها الصغيرة الشقيّة! إنّني على الفور كلّ ما قلته لك. فليس فيه شيء من الصحة البتّة!

سيسيل (بعذوبة) : سيدي، بل أنا لم أسمع شيئاً قط.

السيد أورلا : واعلمي أنّي عرفتك أنا أيضاً ولم أشأ إلاّ أن أضعك في موقف مخجل!

سيسيل : ما الذي دعاك إذن إلى كل تلك المسرحية الطويلة. كان أكثر يسراً بالنسبة لك أن تقول لأرامنت بصوت عالٍ إنّك تحبّها.

السيد أورلا : يا آنسة، ما أنتِ، بل والدك هو الذي يطرح عليك الأسئلة! ماذا تفعلين في الحديقة في هذه الساعة المتأخرة من الليل، وأنت بعباءة السفر؟ ومن كان في نيّتك أن تقابلي، من قبل أن تعرفيني؟

أرامنت (وقد ظهرت مبتسمة) : الفارس، يا سيدي، الفارس الذي يحبّها. وكان عازماً على اختطافها لكي يتزوّجها ويسعدها. ألم أُحطك بذلك علماً؟

السيد أورلا : وتجرئين على الظهور إذاً، يا آنسة! إعلمي أنّ هناك قوانين معمولاً بها في هذه المملكة لصون شرف الآباء. وسوف يتولّى أناس غيري تقييم دورك في هذه القضية لأني عازم على إعلام القضاء بكلّ ذلك. يا

آنسة، كنتِ عازمةً على التواطؤ في مسألة دنيئة. الزواج شيء مقدس، وهذه حقيقة خذيها من فمي. فهو وحده الكفيل بتقديس الحب. أمّا كنتِ تخاطرين، وأنت توافقين على هذا الاختطاف الليلي، بجعل ابنتي واحدة من أولئك الفتيات الضّالات اللواتي أضحين شقيّات إلى الأبد حين جعلن الحب يتقدّم الواجب؟ أجيبي!

أرامنت: سيدي، كنتُ على نافذتي، أصغي إلى أقوالك قبل قليل، وأنت ترمي إلى إقناعي بعكس هذا. لقد قمتَ بدورٍ مشين جداً. فخير لك ألا تلحّ ولا تشهر مسدساتك حتى لا تجرح أحداً. ألم نتوصّل أنا وهي، نحن الفتاتين المسكينتين، إلى صون شرفنا من دونك - بل حتى حيالك في بعض الأحيان؟ لقد تولّت سيسيل مهمّة الردّ على حماقاتك بدلاً عنّي وعلى نحو ما كنت سأفعله بنفسي. ألن تمنحنا الآن شيئاً من الاحترام والثقة؟

السيد أورلا: تعالي أحتويك بين ذراعي، أيّتها الفتاة الرائعة! أجل، لقد كانت سيسيل عاقلة حقاً. وما دمتُ أحبّك، فلم لا أبوح لك بذلك وأتقدّم صراحة طالباً يدك؟ . . . لقد بتّ أعرف الآن أنك تحبيني أيضاً.

سيسيل : بوسعك أن تقبّلها، يا سيدي، وأنا سأدير ظهري .

السيد أورلا : شكراً يا سيسيل . لكنّي سأفعل ذلك بعذوبة حتى ليسعك أن تكوني شاهداً علينا .

(يبرز السيّد داميان ومعه معاوناه)

السيد داميان : هلّموا أيّها الأشداء! هيّا نقبض عليه!

(يهجمون على السيد أورلا)

ها أنا أقبضُ عليك، أيها السيد، وأنت تعانق ابنتي . أقبضُ عليك بالجرم المشهود . عملية اختطاف باستخدام العنف . لن تفلت من الأشغال الشاقّة .

(يميّز السيد أورلا)

ما هذا؟ ما هذه الخيانة؟ أهذا أنت، يا سيدي، وقد باغتُّك ليلاً وأنت مستغرق في عناق أرامنت؟

السيد أورلا : سوف أوضح لك الأمر يا سيدي . . .

السيد داميان : أيّها السيد، كنت أحسبك أباً، فتبيّن لي أنّ الإغواء ديدنك! هل ما سمعته كان حُلُماً، أم أنّك حقاً كنت تقسم لي قبل قليل، والمسدس في يدك، على أن تصون شرف الأوانس؟

السيد أورلا ، (وقد بدأ يبرز تصرّفه وسط الضيق والارتباك) – سيدي، الحب هو عذري . هذه العاطفة التي تطغى على كل شيء . . .

السيد داميان : قل ذلك لغيري، قلهُ للآخرين. فليس لكلامك عندي من رصيد. إذن أنت تستخفّ أيضاً بأكثر الأشياء قدسيّة؟ ألست واحداً من أولئك الرجال الطائشين الذين ينالون من سُمعة السيدات؟

السيد أورلا : كلا، يا سيدي. لكن هناك أحياناً ظرُوف يبدو الحب فيها. . .

السيد داميان : كلام فارغ! أنت أيها السيد، تتحدث إلى أب، فاحترس فيما تقوله. وهذه كلمة لا يصغون إليها. ولقد ارتكبتُ خطأ فادحاً حين وثقت بك، لأنّك في نهاية الأمر غلام، ليس إلاّ.

السيد أورلا : ولكن، يا سيّدي. . .

السيد داميان : إحترم شعري الأبيض! كان بوسعي أن أكون أباك أيها السيد.

أرامنت (وهي بين ذراعي السيد أورلا) **:** شكراً، يا بابا! فلقد نطقت بكلمة رائعة تحفزّني على حبّه.

السيد داميان : على حبّه! على حبّه! أليس لديكم جميعاً من كلمة أخرى تردّدونها؟ وهل أكون الوحيد بينكم قد تجاوزت سنّ الحب؟ سوف أجعلكم تدفعون الثمن غالياً أيّها الشباب.

السيد أورلا : لستَ منصفاً، يا سيدي. فأنت نفسك قد أحببت، وبُحْتَ لي بذلك قبل قليل. وفي العاطفة ما يطغي على كلّ شيء، لذا. . .

(يشاهدُ الفارس، بعد أن أخذت سيسيل المفتاح من أرامنت وأفرجت عنه، وهو يحتويها بين ذراعيه ويشرع في تقبيلها)

دقيقة واحدة، يا سيدي، انظر، هذا هو صاحبنا المتحذلق!

(يتوجّه صوبهما مغتاظاً)

أيّها السيّد. أنا لا أحلم. ها أنت تقبّل ابنتي، في حديقتي الخاصة، ليلاً، وأمام ناظريّ؟

الفارس: سيدي، إنّي أحبها!

السيد أورلا : هذا عذرٌ واه، أيها السيد!

الفارس: لكنّك كنت تقولُ لتوّك، إنّ الحب. . .

السيد أورلا : إنّها كلمة طيّعة جداً، أيها الفتى. وحين أتلفظ أنا بها، يصير لها معنى مغايرٌ تماماً للمعنى الذي تعنيه أنت. أواه! أيها الشاب المتبذّل، إنّي أعرف حقاً أية خطّة شريرة قد وضعتَ، لكنّي تدخلتُ في الوقت المناسب، والحمد لله. القانون لا بدّ أن يسود. وأنت تعرف الثمن الذي ستدفعه؟ سجن الأشغال الشاقّة، يا سيّد، سجن الأشغال الشاقّة. . .

الفارس : لكنّ قلبك لن يطاوعك، يا سيدي! . . .

السيد أورلا : أنت، يا سيد، تكلّم الأب المسؤول عن صون شرف ابنته. الأب! كان ينبغي على ما في هذه الكلمة من مهابة وعظمة، أن يوقفك عند حدّك.

السيد داميان (يقبض عليه) **:** وأنت بدورك ستدفع ثمن فعلتك! فأنا أب أيضاً، أيها السيد. ولا تحاول أن تصرف نظرنا عن القضيّة، بقصّة شرف ابنتك، فأنا الذي أريد أن أحاسبك بشأن شرف ابنتي.

السيد أورلا : لكنّي قلت لك يا سيدي، إنّي أحبّها! . . .

الفارس (يقول للسيد أورلا) **:** لكنّي أنا أيضاً، يا سيدي، قلت لك إنّي أحبّها! . . .

أرامنت (تتقدّم) **:** هذه التمثيليّة الصغيرة بدأت تطول أكثر من اللازم. ألا ترون أنّنا قلناجميعاً ما فيه الكفاية؟ يا أبي، إنّ السيد أورلا يريد أن يتزوّجني. وأنت يا سيدي، هذا الفارس، يشرّفه أن يتقدّم إليك طالباً يد ابنتك. ألا ترون أن بوسعنا جميعاً أن ننزع معاطفنا المعتمة هذه، ونتوجّه لنواصل مناقشة كل ذلك في مكان آخر غير هذه الحديقة؟. فالليلة باردة، ويخشى أن نصاب كلّنا بالبرد. ناهيكم بأنّي قد أعددت عشاء.

(تصفّق بيديها، فيظهر خادمان حاملين شمعدانات. ثم تُضاء شموع أخرى داخل المنزل).

أرجو أن تكلّفوا أنفسكم عناء الدخول، فالمائدة موضوعة. . . بل هناك بعض العازفين الذين أحضرتهم خلسة، وأعددت في النهاية قالباً ضخماً من الحلوى لمناسبة إعلان الخطوبة وعليه أسماؤنا نحن الأربعة مكتوبة بخط زخرفي.

السيد أورلا: كنت تعلمين إذن أنّ الخاتمة ستكون على هذا النحو، أيّتها الفتاة الرائعة؟

أرامنت: كنت أعرف سرّ التمثيلية يا سيدي، والأمور على المسرح تنتهي دوماً علي أحسن ما يرام.

السيد أورلا (وهو يأخذ بذراع السيد داميان): يا سيد داميان، هيّا بنا إلى المائدة! وهذه هي الخاتمة الطبيعية في فرنسا. فالأعراس وحفلات العماد والمبارزات والمآتم وعمليات الاختلاس وقضايا الدولة، كلّ شيء يغدو مبرّراً لهذه الخاتمة. ناهيك بأنّ طاهيتي عبقريّة. فهي وحدها قمينة بجعلك تتمنّى مصاهرتي والدخول في أسرتي. . . وناد على سيّافيك أيضاً لكي يحضرا ويتناولا كأس شراب في المطبخ.

(ويقول للفارس)

وادْعُ سيّافيك أيضاً، أيها السيد، إذ يبدو أنّهما ينتظران لدى الباب الصغير.

الفارس: ألف شكر لك، يا سيدي! إلاّ أنّي لاحظت أنّهما السيّافان ذاتهما في الحالتين.

السيد داميان: كيف ذلك؟ سأعمل على شنقهما!

السيد أورلا (وهو يصطحبه): سامحهما، يا سيدي. فهما السيّافان الوحيدان في مدينتنا الصغيرة وليس لديهما من عمل يذكر...

(يسير الجميع ضمن موكب في البيت المضاء، الذي تنبعث منه نفحات موسيقية. وفيما هم خارجون، تظلّ سيسيل متخلّفة، ويبدو عليها شيء من الإستياء. فيتوجّه الفارس إليها)

الفارس: طيّب، يا سيسيل، ها أنت تقعين على عتبة السعادة، ألا تريدين الدخول؟

سيسيل: إنّي أتّخذ الآن قراراً مصيرياً، يا سيدي.

الفارس: أقسم لك، يا حبيبتي، على أنّي لن أقبّل يديْ أرامنت من بعد أبداً.

سيسيل: إنا أتوكّل عليك في ذلك، يا سيـدي. لكنّي فكّرت ملياً في كل ما قاله لي أبي قبل قليل... كنت في الواقع ساذجة جداً... غير أنّي بتّ أعتقد في نهاية الأمر أنّي أنا التي سأجعلك تتألّم.

(ثم تدخل، فيتبعها الفارس والقلق بادٍ عليه، والموسيقى تزداد وضوحاً وخفّة بينما الستار ينسدل).

ستـار